دروس و عبر تربوية من سيرة خير البرية

الحلقة الرابعة عشرة

وقفات مع بيعة العقبة الثانية

:: الجزء الأول ::

للشيخ : أبي سعد العاملي

-حفظه الله-

دروس وعِبر تربوِية
مِن سِيرةِ خيرِ البرِيةِ

الدرس ١٥

"وقفات تربوية مع بيعة العقبة الثانية"

الجزء الثاني

لِلشيخِ أبي سعدٍ العامِليّ

–حفظه الله–

صفر ١٤٣٥ هجري

٣- الحسبة

نواصل وقفاتنا التربوية مع أحد أهم الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ البشري على الإطلاق، ألا وهي بيعة العقبة الكبرى أو كما سميناها "بيعة العقبة الثالثة " نظراً لتجددها وفرض نفسها على كل مؤمن يبتغي نصرة هذا الدين، حتى وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غائباً عنا بجسده، فمعجزة هذا الدين وتأثيره العجيب في النفوس يكمن في هذه النقطة بالذات، فغياب القيادات والرموز – حتى وإن كان في مستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم – لا يؤثر في مسار هذا الدين، ولا يكون سبباً في توقفه أو انحصاره أو زواله، وهذا ما يحيِّر عقول الأعداء قبل الأصدقاء، ويقذف في قلوب المؤمنين الأمل والصدق في العمل لإنجاز وعود الله تعالى في واقع الناس.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد حديثنا عن البندين الأولين وهما السمع والطاعة في النشاط والكسل ثم النفقة في العسر واليسر، نقف اليوم مع بند جديد وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا غرابة أن يأتي هذا البند مباشرة بعد السمع والطاعة وبعد النفقة، كأول عمل خارجي يزاوله المؤمن في الواقع الفعلي، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتمل على الدعوة وعلى الجهاد، فهو جامع لكثير من الأعمال التي ينبغي مزاولتها لنصرة هذا الدين.

ولا غرابة كذلك أن يتوافق مع قوله تعالى، وهو يذكر أهم سمات الأمة المختارة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾، وهي الصفة التي ذُكر بها الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾.

صوت شبكة شموخ الإسلام
مؤسسة المأسدة الإعلامية

كما أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي السبب في انتزاع صفة القيادة من بني إسرائيل وتم استبدالهم بأمة الإسلام، وذلك بعدما تركوا هذه الفريضة و لم يقوموا بها كما أُمروا ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَـوا وَّكَـانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾، والنصوص متواترة في هذا الباب ليست المناسبة مقام ذكرها. فالذي ينبغي أن نعلمه ونعيه هو أن هذه الفريضة تعتبر من أهم الواجبات في ديننا التي تترجم إيمان واعتقاد المرء، حيث أنها تعتبر عبادة جامعة للكثير من الفرائض والواجبات، وهي من جهة أخرى مقياس ودليل على صدق التزامنا بمبادئ هذا الدين، حيث لا يكفي أن يدّعي المرء الإيمان والصدق ما لم يطبق ذلك في الواقع حالاً وحركة وعملاً، وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شاقة على النفوس ومكلّفة قلّما يُوفق المسلم لأدائها وتحمل تبعاتها.

يقول رسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَان". وفي رواية: "وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان".

فـ "مَنْ" تفيد صيغة العموم، بمعنى أن كل واحد من الرعية مكلف ومطالب بالقيام بهذه الفريضة، وليس كما يدّعي بعض الجهلة والمبدّلين للكلم عن مواضعه، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص بأولي الأمر فقط.

والدليل واضح في هذه البيعة التي أمر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار – وكل المسلمين – بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و لم يقيّدها بشروط، بل هو أمر عام ومفتوح للجميع.

ونحن نسأل هؤلاء المتفيقهين والمتعالمين: فكيف إذا كان أولوا الأمر قد عطّلوا هذه الفريضة – كما عطّلوا الكثير من الشرائع – بل تجدهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، بل وتراهم يقتلون ويحاربون الذين يأمرون بالقسط من الناس؟!

من خلال الحديث السابق يتبين لنا جلياً أن هذه الفريضة فيها درجات ومراتب، ومنوطة بالقدرة أو الاستطاعة (فمن لم يستطع) – كما هو شأن بقية الفرائض والواجبات – ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ

مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾، وقوله تعالى ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾. كما أنه ينبغي مراعاة تغليب المصلحة على المفسدة في كل عمل يقوم به المؤمن، حتى لا يضر من حيث يريد أن ينفع، وعليه أن يراعي الأولويات والأهم ثم المهم في حركته بهذا الدين.

فالحديث بدأ بالمرتبة العليا ألا وهي التغيير باليد، وهو المرادف لفريضة الجهاد في سبيل الله، وهو الأصل والأَوْلى، إذ أن هناك أموراً لا يمكن أن تتغيِّر إلا باليد وهو استعمال القوة، وهذا أكبر دليل على أن العمل الجهادي هو الأصل والأحق بالاتباع والتزكية والمناصرة في العمل الإسلامي، وهو صفعة في وجوه كل من يدَّعي أو يبتغي سبلاً أخرى للتغيير غير سبيل الجهاد في سبيل الله وهو التغيير باليد.

ولا شك أن المنكرات مراتب ودرجات، كما أن المعروف أيضاً درجات ومراتب، وعليه فإنه ينبغي البدء في النهي عن المنكر الأكبر والأمر بالمعروف الأكبر، وما من شك أن المنكر الأكبر في هذه الأيام هو غلبة الكفر والردة وبسط قوانينها على مجتمعاتنا، وكل المنكرات الأخرى تنبثق منها وتعتبر فرع من هذا الأصل، وبالتالي فكل من يحاول إزالة الفروع دون التفكير في إزالة الأصل فهو يشبه الذي يطرد الذباب ويُبقي على الأوساخ والمزابل، وما من شك في أن الذباب سيعود ويتوالد مادامت الأوساخ موجودة.

ولا ينبغي أن يُفهم هذا الكلام على أنه دعوة إلى ترك المنكرات الصغيرة تنتشر وتعشش في مجتمعاتنا وعقول أبناء أمتنا، بل بالعكس تماماً، فكل منكر – مهما كان نوعه – ينبغي تغييره وإزالته، ولكن همّنا الأكبر هو الإعداد لإزالة هذا المنكر الأكبر الذي يمثل النبع لكل المنكرات الأخرى دونه.

أما التغيير باللسان الذي يأتي في المرتبة الثانية، فإنه يتمثل في الدعوة إلى الله تعالى بكل الوسائل والأساليب المشروعة، كل حسب موقعه، فالدعوة تكون تارة بالحسنى والتلميح (ما بال أقوام..) وتكون بالقول البليغ والمباشر مع فئات وتكون بالقول الغليظ حينما يستدعي الأمر ذلك ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً غَلِيظاً ﴾.

أما المرتبة الأخيرة وهي الإنكار بالقلب، فهي تخص أولئك الذين لا حول لهم ولا قـــوة، وهي حالة من الضعف التي لا ينبغي أن يتواجد فيها المؤمن، بل عليه دائماً أن يبحث عن عوامـــل القوة اللازمة ليرتقي إلى المرتبتين الأولى والثانية.

فالإنكار بالقلب لا يعني أن يقبل المؤمن هذه المنكرات أو يشارك فيها أو حتى يتواجـــد في أماكنها، بل عليه الانسحاب بعيداً وأن يقاطع ويتبرأ ويعادي كل من يقترف هذه المنكرات، كما فعل مؤمن آل فرعون أو امرأة فرعون قبل أن يصدعا بالحق فيغيرا باللسان .

كما أن الإنكار بالقلب ينبغي أن يدفع المؤمن إلى الإعداد والتشوق لبلوغ درجة التغـــيير باليد واللسان، فهو مقدمة لهما وليس نهاية المطاف كما يفعل أغلب المسلمين اليوم. حيث فهموا الحديث فهماً خاطئاً وظنوا أن الإنكار بالقلب قد يشفع لهم عند الله، فقصّروا وفرّطوا في الأسباب التي تبَلِّغُهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان، وبسبب هذا الفهم القاصر والمحـــرف للنصوص الشرعية صارت الأمة غثاء كغثاء السيل، وتمكنّ الأعداء منها، وصار المنكـــر معروفـــاً والمعروف منكراً، بل وأصبح أغلب الناس يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

تبعات وعقبات

لا شك أن السبب الرئيس الذي يمنع الناس من القيام بهذه الفريضة – وبقيـــة الفـــرائض المكلّفة – هو تبعاتها، فطبيعة النفس البشرية أنها تميل إلى أيسر الأمور وأخفها سواء في الأوامـــر أو النواهي، وهذا ما يشير إليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حُفّت الجنة بالمكاره وحُفَّـــت النار بالشهوات".

فالذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر سيجد أمامه عدة عقبات مادية ومعنوية، لابـــد أن يتجاوزها أو على الأقل يقاومها ويصبر على أذاها، أهمها:

١ – الشيطان الرجيم، فهو صاحب المصلحة الأولى والكبرى في انتشار المنكرات وغياب المعروف، ليتمكن من تمرير وساوسه، وليصدق على الناس ظنه فيبعدهم عن طاعة ربهم. إن همَّ الشيطان الأكبر هو أن يرى غياب أهل المعروف من الساحة، فيأتي إلى هؤلاء ليُثَبِّطهم عن أداء واجباتهم، وذلك بأن يكبّر ويضخّم هذه المهمات في أعينهم ويقذف في قلوبهم اليأس والوهن، ويحبب إليهم بعض المهمات الصغيرة، كأن يُشغل الدعاة في العبادات الشخصية من صلاة وقراءة قرآن وصدقة وغيرها من العبادات التي لا صلة لها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيظن الداعية أنه يحسن صنعاً فَيَمْنُنْ ويستكثر هذه الأعمال، وينشغل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتحقق للشيطان ما يريد. أو أنه (أي الشيطان) يوحي إلى هؤلاء الدعاة بأن الناس لا يستحقون أن يُضحى من أجلهم بالأوقات وبالأموال فضلاً عن الأرواح، والأولى أن ينشغل المرء بنفسه وبيته، وكل امرئ حسيب نفسه، وربما يؤول له قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ تأويلاً خاطئاً، أو أنه يقذف في قلبه الخوف من تبعات هذا الطريق، بذهاب المال والمنصب والأهل، وأن في هذا ضرر على دينه ودنياه، فيستسلم الداعية لمثل هذه التخويفات الشيطانية، فيحجم عن أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مكتفياً ببعض الطاعات الأخرى.

٢ – أولياء الشيطان الذين يروِّجون هذه المنكرات ولهم المصلحة المباشرة في بقاء المنكر وغياب المعروف ليُبعدوا الناس عن دينهم ويفرضوا عليهم الباطل، ويتمثلون في هذه الأنظمة المرتدة وكل أجهزتها ومؤسساتها وكل من يحوم حولهم من المنافقين والعملاء والخونة، وهؤلاء يقفون بالمرصاد لكل آمر بالمعروف وناه عن المنكر، ويدخلون في حرب طاحنة معهم، تبدأ بالترغيب ثم بالحرب النفسية لتشويه سمعة الداعية عن طريق نشر الإشاعات والأكاذيب وتنتهي بالترهيب عن طريق السجن أو التهجير أو القتل. وهنا ينبغي على الداعية أن يصمد ويصبر على تحمل تبعات هذه الفريضة، ويعتبرها قرباناً إلى الله تعالى وثمناً لنيل رضاه، فإن هذه الفريضة تحتاج إلى صبر ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧]، كما ينبغي عليه أن لا يتردد في نسف كل مبادئ ومخططات الأعداء، بالحجة والبيان ونشر الحق أينما حلّ وارتحل. فالحرب طاحنة والتضحيات جسيمة، والعدو لن يتراجع أبداً ولن يستسلم، فحري بأهل الحق أن لا يضعوا أسلحتهم ولا ييأسوا ولا يملّوا

من مواصلة الطريق، فالحرب سجال، ولكن العاقبة للمتقين، وحجة الحق هي الدامغة، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾.

٣ – اليهود والذين أشركوا (ويتمثل اليوم في هذه الأحلاف والتجمعات الكفرية)، إنهم يمثلون الخط الأول في هذه الحرب المدمّرة، فهم الذين يخططون لنشر الباطل والفساد ومحاربة الحق والإصلاح، وبالتالي يصنعون كل المنكرات ويصدرونها إلى بلداننا لكي يجدوا هذه الأنظمة المرتدة وأعوانهم من الخونة والمنافقين– الذين يمثلون الخط الثاني – في أتم الاستعداد لتنفيذ هذه المخططات وترويج هذه البضاعة المسمومة وسط شعوبنا. ويكفي أن ننظر إلى تاريخنا لنكشف التلاحم والتعاون الوثيق بين اليهود والذين أشركوا من جهة وبين فئات النفاق داخل الصف الإسلامي من جهة أخرى، ثم هاهي اليوم تعود بقوة وبكل وضوح لتتعاون وتشكل تحالفات عجيبة وغريبة لضرب وقمع جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهل هناك منكر أكبر من حكم الطاغوت وتمكين هؤلاء الكفار من بلاد المسلمين؟ وهل هناك معروف أكبر من تحكيم شرع الله وإخراج هؤلاء المشركين من بلاد المسلمين؟

٤ – ضعاف النفوس وأتباع الهوى والشهوات، وهم القاعدة العريضة التي تكثّر سواد هؤلاء الطغاة، وهم بمثابة التربة التي تنمو فيها هذه المنكرات والمختبر الذي يُجرّب فيه المفسدون اختراعاتهم الجديدة، وهؤلاء الغثاء والهمج الرعاع يحرصون أشد الحرص على هذه الأجواء الموبوءة، لأنها تلبي رغباتهم الصغيرة وشهواتهم الحيوانية، فلا يقبلون من يريد تصفية هذه المياه العكرة، فيتحول البعض منهم إلى جنود للشيطان وأعوان للطاغوت، يقاومون أهل المعروف ويستسلمون لأهل المنكر، يرفضون الحق ويقبلون الباطل، هذا هو دأب أصحاب النفوس المريضة الضعيفة، لا يزالون وقوداً للفساد ومشاعل للمنكر، ولن ينفع معهم إلا التغيير باليد، المرتبة الأولى في هذه الفريضة المهجورة.

كانت تلك أهم التبعات لهذه الفريضة وأكبر العقبات التي تقف في طريق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ينبغي معرفتها لنعلم كيف نتقبل التبعات ونصبر على ثقلها وما تسببه من مصاعب ومتاعب، ولكي نتعلم ونبحث عن السبل المناسبة لتخطي العقبات أو إزالتها، وتحتاج هذه الفريضة المنسية إلى عملية إحياء جديدة من قبل المسلمين، كونها تمثل خطوة متقدمة لهدم مشاريع الباطل، والإبقاء على شعلة الحق متقدة في نفوس أصحابها، وبها يمكن لهذه الأمة أن تعيد مركزها لقيادة البشرية كما أراد لها ربها عز وجل ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾، وإلا فسوف تضع نفسها في موقع الاستبدال كما فعلت بنو إسرائيل من قبل، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[محمد : ٣٨].

٤- قول الحق والنصرة

فبعد أن وقفنا عند بعض بنود بيعة عقبة القتال، ومنها السمع والطاعة في المنشط والمكره والنفقة في العسر واليسر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلنا بأن البندين الأولين يتعلقان بالتنظيم الداخلي للتجمع الإيماني حيث يساهم في تقوية الأواصر بين القيادة والقاعدة كما يساهم في تقوية علاقة المؤمن بربه، وهما بمثابة الدليل على حقيقة إيمانه وانتمائه لهذا الدين. أما البند الثالث الذي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو التعبير الخارجي والتطبيق العملي خارج دائرة التجمع، ومحاولة تجسيد تعاليم الدين باليد واللسان بإزالة كل العقبات المادية والمعنوية.

ونقف الآن مع البندين الأخيرين من هذه العقبة وهما:

أولاً: أن تقولوا في الله، لا تخافوا في الله لومة لائم

فلا يكفي أن يدّعي المرء الإيمان بمبادئ معينة ثم يتوارى عن الأنظار ولا يساهم في نشر ما يؤمن به أو على الأقل يدفع كل الشبهات والاعتداءات التي من شأنها أن تطالها لتشويهها أو

تمييعها أو القضاء عليها، ويظل المرء في صراع دائم مع الجهات المعادية لكي تبقى هذه المبادئ هي الغالبة.

وهذه القاعدة تنطبق – من باب أولى – على المؤمن، لأنه بالإضافة إلى حرصه على نشر دينه ومبادئه ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف :٩] فإنه يسعى إلى التقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه والفوز بأعلى الدرجات يوم القيامة، ويتحقق ذلك بالجهر بهذا الحق الذي يحمله ولو أدى ذلك إلى استشهاده. "سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فنهاه فقتله".

فما أصعب قول كلمة الحق في محيط لا يكون لك فيه نصير، بل كل من حولك ضدك، فالمرء حريص على مكانته وسط الناس، ويحاول تفادي كل ما من شأنه أن يعكر صفاء الأجواء بينه وبين معارفه ومحبيه، فيدور مع أهواء القوم حيث دارت ولا يأبه أوافقت هذه الأهواء أم تصادمت مع مبادئه ودينه، حسبه أن يُبْقِيَ على هذه المودة والمكانة بين الناس حتى وإن كان الثمن هو التضحية بهذه المبادئ التي يحملها.

ولكن حينما يدرك المؤمن القيمة العظيمة التي ينالها حين يجهر بالحق، وحينما يمتزج هذا الحق بكل كيانه ويتمكن من قلبه وعقله وجوارحه، فإنه يستهين بكل العواقب ويستصغر كل العقبات، ويمضي قدماً في بيان هذا الحق ونشره.

ومن الأسباب التي تحجم المؤمن عن قول كلمة الحق هو خوفه من لومة اللائمين، مثل قولهم: ما شأنك أنت بما نفعل؟ من طلب منك أن تتدخل في شؤون غيرك؟ لماذا لا تهتم بشؤونك وتترك غيرك يفعل ما يشاء؟ هل تستطيع أن تغير الواقع وحدك؟ وغيرها من عبارات التثبيط والاستهزاء والتقعيد عن أداء واجب الجهر بالحق وقول كلمة الحق في المكان والزمان المناسبين.

والمؤمن حينما يقرر القيام بواجب قول الحق، فإنه لا يضع في حساباته ضرورة استجابة الناس أو كسب مدحهم ورضاهم أو الخوف من قدحهم وغضبهم، إنما يقوم بذلك إرضاء لله تعالى وحده وإيماناً منه بأنه واجب لابد أن يقوم به، ولا يخاف في ذلك لومة لائم. والله سبحانه هو الذي يبارك في وقفته وقولته فيفتح بها قلوب أناس ويغلق بها قلوب آخرين، فترى بعض الناس

يسارعون إلى الاستجابة لداعي الحق بينما ترى آخرين يعقدون العزم على مواصلة العناد ومحاربة الحق.

فكم من كلمة حق قلبت موازين كثيرة وغيرت مجريات أحداث عديدة، فالمؤمن الصادق لا ينبغي له التردد بالجهر بالحق في الموقع والزمن المناسبين. كما أن الذي يجهر بالحق و لا يخاف في ذلك لومة اللائمين يجعل الله له مكانة سامية بين الناس ويكسب هيبة ورفعة حتى بين الأعداء، في حين تجد الذي يدهن أهل الباطل أو يخاف من الجهر بالحق لا قيمة له على الإطلاق ولا يُأبه لكلامه.

والواقع الذي نعيشه خير شاهد على هذا، فانظر إلى الفرق الكبير بين علماء وخطباء وقيادات الجماعات أو التنظيمات الإسلامية الذين يواجهون هذه الأنظمة المرتدة أو الكافرة في بلداننا، ويبوحون بالحق كاملاً غير ناقص، كلمات مدوية تزعزع عروش الطواغيت وتوقظ الغافلين من غفوتهم وتشحذ همم المخلصين للقيام بواجباتهم تجاه دينهم، فهؤلاء المجاهدون الصادقون تراهم مرهوبي الجانب من قبل الأعداء ويُحسب لكلامهم ألف حساب، يترقبون كلماتهم وتصريحاتهم ترقب الخائف الوجل، تحسباً لكل طارئ، بينما ترى أولئك الذين يترددون على عتبات القصور ويطمعون في الفتات وفي عرض من الدنيا قليل، فيخلطون عملاً صالحاً بآخر سيئاً، يحرِّفون الكلم عن مواضعه، يُدهنون في الحق، فلا تجد لهم أي قيمة تُذكر لا عند الناس ولا عند هؤلاء الطواغيت أنفسهم. وقد شبه الله تعالى هؤلاء بالكلاب في قوله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا ﴾[الأعراف : ١٧٦] إن الأمة بحاجة – أكثر من أي وقت مضى – إلى من يقول في الله كلمة الحق كاملة، دون مداراة ولا التواء، لأنها بحاجة إلى من يذكرها بدورها الريادي لقيادة البشرية، ولأن الأعداء قد ظنوا أنهم نجحوا في تخدير هذه الأمة وإسكات صوت الحق فيها، فليخرج الدعاة إلى الله فرادى وجماعات ليجهروا بالحق وليعلنوا براءتهم من الشرك ومن هؤلاء المرتدين وقوانينهم الكفرية، وليعلنوا ولاءهم لله ولرسوله وللمؤمنين المجاهدين في كل مكان، وليرفعوا راية التوحيد عالية خفاقة على كل الرايات الجاهلية في الساحة، ولا يداهنوا أو يدهنوا،

ولا يركنوا إلى الذين ظلموا بحجة التدرج في تبليغ الحق، أو كسب عطف هؤلاء المجرمين ورضاهم على حساب الحق المبين.

فالإسلام لم يؤت إلا من قبل هؤلاء المنهزمين الجبناء، وما تمكن الطغاة من شعوبنا إلا بسبب تخلي علمائنا وخطبائنا عن قول كلمة الحق في وجوه هؤلاء الحكام وفي وجه كل الفاسدين، ولو أنهم فعلوا ذلك لقذفوا الرعب في قلوب الظالمين ولاقتدى بهم أبناء الأمة جميعاً ولتحولوا إلى حراس آمنين على هذه العقيدة التي عبث بها هؤلاء المجرمون، فحولوا أسود الأمة إلى أرانب.

إن الأمة – بجميع شرائحها – بحاجة إلى العمل بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾[الأحزاب: ٣٩] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار يوم العقبة الثانية: "وأن تقولوا في الله، لا تخافوا في الله لومة لائم"، ومعلوم أن الخطاب عام لكل المسلمين، وليس لطائفة معينة فحسب، وبهذا تتميز أمة الإسلام عن سائر الأمم، كونها مكلّفة ومسؤولة كل على حسبه: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

ثانياً: أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنة.

قد يقول قائل – لأول وهلة – هذا البند لا يعنينا ولا يمكن تطبيقه اليوم، وكيف يمكننا ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد غاب عنا بجسده وروحه، فكيف يا ترى نستطيع أن ننصره ونمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأهلينا؟

أقول: إن قيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبطة بالرسالة التي جاء من أجل تبليغها، وليست القيمة لشخصه وذاته، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾[آل عمران : ١٤٤]، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى

الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح : ٢٩]، فما دامت الرسالة ماضية وحاضرة في النفوس فإن صاحبها حي وحاضر كذلك، وعليه فإننا مطالبون بنصرة الدين الذي جاء به والذب عن سنته.

ولن يمكننا نصرة رسول الله إلا بنصرة دينه، وهذا بدوره لا يمكن تحقيقه إلا إذا كان رسول الله أعز علينا من أنفسنا وأزواجنا وأولادنا وأموالنا، أما إذا كان العكس فلا ينبغي أن نعتبر أنفسنا من أنصار الله وأنصار رسوله.

كما أن حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يتجلى في تقديم أقواله وأوامره على أهوائنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : ١، ٢].

وهذه هي النصرة الحقيقية التي ينبغي أن نفهمها ونعيها ونطبقها في واقعنا، لكي نجسد بنود هذه البيعة المتجددة، وهذا ما فعله بالضبط الأنصار الأوائل حينما انتقلوا من عالم الجاهلية إلى عالم الإسلام، فجسدوا هذه البنود خير تجسيد في حياتهم الفردية والجماعية.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى نصرة دين الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك لننسف كل مؤامرات الأعداء التي تسعى إلى إبعاد المسلمين عن هذا المثل الأعلى من حياتهم، ويحاولون إيجاد بدائل عنه – أشخاصاً ومناهج – لإبعادهم عن طريق الخلاص، أو تركهم هائمين تائهين، لا ديناً نصروا ولا دنيا أصابوا.

والنوع الآخر من النصرة التي ينبغي علينا إحياءها في نفوس المسلمين هي نصرة أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، من العلماء الربانيين والمجاهدين الصادقين والدعاة الصالحين، أفراداً كانوا أم جماعات، فهذا واجب يقع على عواتقنا جميعاً.

فالحرب الدائرة بين أهل الحق وأهل الباطل تعتبر من أشرس الحروب التي عرفتها البشرية على الإطلاق، و لم تجتمع كلمة الذين كفروا وأشركوا وارتدوا على ضرب الإسلام والمسلمين كما اجتمعت هذه الأيام، ونحن نرى أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربون ومطاردون

في الشعاب وفي القفار، ومحاصرون من كل جانب، وهاهم يتنقلون ويبحثون عن النصرة - كما كان يفعل قدوتهم ومثلهم الأعلى صلى الله عليه وسلم حينما كان يطوف على القبائل وكفار قريش يمنعونه من تبليغ رسالة ربه، بل يتتبعون آثاره لتشويه سمعته ومنع الناس من سماع الحق الذي يحمله.

فها هو التاريخ قد دار دورته وأعاد نفسه من جديد، وها نحن نرى هذه العصابات المجاهدة تطوف في البلدان، تقاتل بيد وتبسط اليد الأخرى تعرضها على القبائل -هنا وهناك- وهي ترجو أن تجد من يبايعها ويجدد معها بنود هذه البيعة لمقارعة أعداء الله ونشر دينه ليظهر على الأديان كلها ولو كره الكافرون.

وقد رأينا استجابة العديد لهذه العصابات المقاتلة، رخّصوا أنفسهم وأزواجهم وأولادهم وأموالهم في سبيل نصرتهم وإيوائهم، بالرغم من المصاعب والآلام التي يلاقونها بسبب هذه الوقفة الأنصارية، واستحقوا بذلك أن يكونوا أنصار عصرهم بكل ما في هذه الكلمة من معاني وأبعاد.

فغاظوا أعداء الله ووقفوا لهم بالمرصاد، سراً وعلانية، يرجون رحمة الله ويخشون عذابه، وهم يدركون أنهم يقومون بأعظم القربات إلى الله تعالى، في زمن قلّ فيه النصير، وقوي فيه العدو وكثر، فلله درُّهم من أنصار جدد، ابتعثهم الله ليجسدوا هذه البيعة الخالدة المتجددة، فطوبى لهم وحسن مآب.

بيعة لا نبغي وراءها إلا الجنة

كل هذه البنود والالتزامات والتضحيات يقوم بها المؤمن ويجسدها خلال بيعته وهو لا يرجو أي جزاء دنيوي، فالمؤمن متعلق بربه ويعتبر هذه الدنيا دار ممر، يتزود بها لآخرته، وهو حينما يُقدم على هذه البيعة يعلم يقيناً أنه سيلاقي الصعاب والمتاعب، وهو موقن بأن الله ناصره وحاميه، ولكي يحافظ على نقاء هذه البيعة وصفائها، تراه يجرد قلبه من كل الأطماع المادية والدنيوية، سوى طمعه في رحمة ربه وابتغاء جنته.

كما أنه يجب على القيادات في التجمعات المؤمنة أن يضعوا الجنود والأنصار في المقام الصحيح، ويبينوا لهم تبعات هذه البيعة، فلا يطمعوهم في أجر دنيوي زهيد أو منصب زائل، بل عليهم أن يربطوهم بربهم وحده، فهذه البيعة إنما تتم بينهم وبينه، فلينتظروا الأجر من عنده سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة : ١١١]

كما أن ربط المجاهد بربه وابتغاء جنته، من شأنه أن يضمن عدم انحراف هذا لمجاهد، لأن الأجر الذي يبتغيه لن يجده عند أي جهة من الجهات، كما وأنه يحفزه على التضحية بما هو أرخص لنيل الأغلى، وكل شيء دون الجنة فهو رخيص حتى وإن كانت النفس التي بين جنبيك.

وهذه العقيدة والحب لنيل الجنة، هو بمثابة قوة دفع ورأس الحربة التي تحرك المؤمن اتجاه أهدافه، ولا يمكن للأعداء أن يوقفوه أو يحرفوا مساره، لأنهم عاجزون عن تقديم بديل لهذه الجنة، سواء في الدنيا أو في الآخرة، ولهذا يبقى المؤمن الصادق جواداً لا يمكن ترويضه، وغصة في حلق الكافرين لا يمكن التخلص منها، وهذا ما ينبغي التركيز عليه في تربية الأجيال الصاعدة، وربط النفوس بها، في كل بيعة، وفي كل عقد.

وبعد، فقد كانت هذه بعض الوقفات الإيمانية مع بيعة العقبة الثانية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالثة في العهود التي تلته، والتي ستظل تتجدد ما بقي هذا الدين، وما بقي الصراع بين الحق والباطل، بقي أن نختم بمقال أخير حول تبعات هذه البيعة، والذي سيكون في الأيام المقبلة بحول الله.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً – قيادات وقواعد، أفراداً وجماعات – للالتزام ببنود هذه البيعة الخالدة، وييسر لنا بها طريقاً إلى الجنة، وقبل ذلك لنصرة دينه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأوليائه المجاهدين في كل مكان، آمين والحمد لله رب العالمين.

مع تحيات إخوانكم في

مُؤسسَّةِ المَأسَدَةِ الإعلامِيَّةِ

"صوت شبكة شموخ الإسلام"

ادعوا لإخوانكم